**المبحث الأول : تجلي الخمرة في العصر العباسي**

لم يكد يبتدئ القرن الثاني حتى طهر المجون ، وانتشر ، وصل إلى قصور الخلفاء ، ثم كانت ثورة العباسين ،فيما انتصار الفرس على العرب ، وانتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق ، وأصبح الأدب عراقيا ، لا شاميا ولا بدويا ،أي أصبح خاضعا عن كتب لتأثير الفرس ولحضارة الفرس[[1]](#footnote-2) ، والجدير بالذكر أن الخمرة كانت ذات شأن عند الفرس أن النفسية الفارسية غزت العالم العربي في العهد العباسي الأول ، فأقبل الناس على عادات الفرس في مرافق العيش ، وانتحلوا نظمهم الاجتماعية والسياسية ، وانكبوا على الخمرة يعبون منها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وقد انتشرت حوانيتها في الدساكر والأرباض ومفارق الطرق ، وتنوعت آنيتها ، وحدقت تجارها طرائق تعتيقها ، فكان طلابها كثيرين ،وكانت في نطرهم جوهر الحياة ،وتسرب إلى النفوس ما كان لها من تجلة وتكريم [[2]](#footnote-3).

وإذا كان التغيير السياسي في العصر العباسي قد اخذ شكل الطفرة وكان أقرب إلى التغيير المفاجئ فإن ذلك يتبعه لا محالة تغيير في الإبداع الفني وسائر المجالات الأخرى ، إلا أن التغيير الفني لا يمكن أن يكون مفاجئا وإنما يحتاج إلى وقت أطول وإلى فترة نمو فنضج فتألق ، فالملاحظ أن الشعر العباسي في بداية العصر كان يحمل مزيجا من المزايا ،وكان يتأرجح بين الطابع الأموي والطابع العباسي لأن جل رواده من المخضرمين الذين يمكن تصنيفهم إلى طوائف ثلاث واحدة متمسكة بالأرضية الفنية الأموية الرافضة لغيرها ، وأخرى تقف بثقلها على الأرضية الأموية ،وثالثة تضع نصفها فوق الأرضية الأموية والنصف الآخر فوق العباسية وهي حاملة لواء التجديد ورائدته لا محالة [[3]](#footnote-4).إذ كان الشعر العربي في الجاهلية منحصرا في العرب ، ولم يكن فيهم من غير العرب إلا عبد بني الحسحاس ثم تكاثر الشعراء الموالي في العصر الأموي ، لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المائة ، أما في العصر العباسي فزادوا على ستين في المائة ، وأكثر فحول الشعراء هذا العصر من الموالي ، كأبي نواس ، وأبي العتاهية[[4]](#footnote-5)، ....فما إن سطع نجم الشعراء الموالي ، حتى تولدت منه حالة من النفور من كل ما هو عربي ، نتيجة لامتزاج الحضارات ، فعرف الشعر الخمري تطورا كبيرا نتيجة هذا الامتزاج ، واشتد الجدال بين الفقهاء في أمر تحريمها وتحليلها ، وقد مال إليها أغلب الشعراء الموالي على رأسهم ابو نواس (ت 198 هــ) في اندفاع وثورة ، وشملت ثورتهم التقاليد العربية والدينية واصطبغت بالصيغة الشعرية التي تريد الحط من شان العرب في عقليتهم وعاداتهم وأخلاقهم وثقافتهم ودينهم .

يعد أبو نواس الحسن ابن هانئ[[5]](#footnote-6) ،رائد المدرسة التجديدية في الشعر الخمري[[6]](#footnote-7) وأشهر من نظم في وصفها من شعراء العصر العباسي ، فإن له في ذلك بضعة آلاف بيت من مئات من القصائد والمقاطع نجدها في ديوانه ، ولذلك عدوا أبا نواس أمام الواصفين للخمر [[7]](#footnote-8)، وجمع في شعره خلاصة من معاني شعر المتقدمين من الجاهليين وأضاف إليها صورا جديدة من معانيه المبتكرة ومن الذين عاش بينهم من المحدثين المثقفين بالحضارات الموروثة عن أمم شتى ، وأكثر معانيه المبتكرة في الخمريات والغزل بالمذكر ، والخمرة عند أبي نواس هي شيء مقدس ،اتخذ منها وسيلة للتعبير عن شعوبيته ، وعن الاستمتاع بالحضارة ولذاتها ،فاتخذ في الشعر بمخمرياته مذهبا جديدا ، وهو التوفيق بين الشعر وبين الحضارة ، بحيث يكون الشعر مرآة صافية تتمثل فيها الحياة ، ومعنى ذلك العدول عن طريقة القدماء ، في وصف الخيام والأطلال ، لأنها كانت تلائم حياتهم ، ومع التغيير في ضروب العيش ، وجب أن يتغير الشعر الذي يتغنى به ، فوجب على الشاعر التغني بالخمرة وأن يصف القصور والحدائق ، ومن هنا اتخذ أبو نواس من وصف الخمرة وسيلة إلى مدح الحياة الجديدة ، ودم ما كان سائدا قبلها ، وكما قال طه حسين : " أن أبو نواس يدم القديم لا لأنه قديم ،بل لأنه قديم ، ولأنه عربي ، ويمدح الحديث لا لأنه حديث ، بل لأنه حديث ، ولأنه فارسي ، فهو إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب مذهب الشعوبية المشهور "[[8]](#footnote-9).

هذا وقد عمل أبو نواس على كسر المقدمة الطللية في ثورته التجديدية فغير مجرى الشعر ووجهه توجيها يلتصق بروح العصر وينزل إلى أعماق النفس البشرية ، وطالب الشعراء بأن يكونوا صادقين مع أنفسهم غير منافقين ، إذ يقول :

عَاجَ الشَقِيُ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُه وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَن خَمَارَةِ البَلدِ

يَبْكِي عَلَى طَلَلِ المَاضِينَ مِن أَسَدٍ لاَ دَرَّ دَرُكَ قُل لِي مَن بَنُو أَسَدٍ

وَمَن تَمِيمُ وَمَن قِيسُ وَلُفَهُمَا لَيسَ الأَعَارِيبُ عِندَ اللهِ مِن أَحَدٍ

لاَ خَفَ دَمْعُ الذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ وَلاَ صَفَا قَلْبُ مَن يَصْبُو إِلى وَتَدٍ

كَمْ بَينَ نَاعِتِ خَمْرِ فِي دَسَاكِرِهَا وَبَينَ بَاكٍ عَلَى نُؤْيٍ وَمُنتَضَد [[9]](#footnote-10)

فانظر إليه كيف آثر العنف في الخطاب ، فأسرف في ذم القديم ، والنهي على من يتكلفه ، وأسرف في مدح الجديد والحث عليه ، وانظر إلى تبرمه بأسد ومن يبكي على أسد ، وإلى ذمة تميم وقيس والعرب كافة ،ثم انظر كيف يحتقر هذا القديم ، ويرفع من شأن الجديد ويأخذ الناس بأن ينظروا إلى ما حولهم من جمال الطبيعة ،فيألفوه ويصفوه[[10]](#footnote-11)،وهكذا إذا عهد أبو نواس إلى كسر المقدمة الطللية ، بالحط من شأن الوقوف على الطلال والاستهزاء بالواقف عليها ،فكانت دعوته صريحة للشعراء بأن يكونوا صادقين في أشعارهم وهذا الصدق يستوجب عليهم بأن يصفوا القصور والرياض والخمور والقيان لأنها جزء من الحضارة التي يعيشون في كنفها ،وبدا كان لكسر المقدمة الطللية حتمية فرضتها الحياة الجديدة أو العقلية الجديدة .

كما كان أبو نواس زعيم الحركة الثورية الداعية إلى استبدال المقدمة الطللية بأخرى خمرية وبذا كان رافضا لكل مظاهر الحياة العربية بما في ذلك المعايير الفنية وتقاليد القصيدة العربية ، ومن ذلك قوله :

عَدِّ عَنْ رَسْمٍ وَعَنْ كُتُبٍ وَالْهُ عَنهُ بِابْنَةِ العِنَبِ

بِالتِي إِن جِئْتُ أَخْطُبُهَا حُلِيّتْ حَليًا مِنَ الذَهَبِ[[11]](#footnote-12)

وقال أيضا :

لاَ تَبْكِ لَيلَى وَلاَ تَطْرَبْ إِلَى هِندِ وَاشْرَبْ عَلَى الوَردِ مِن حَمرَاءَ كَالوَردِ

كَأْسًا إِذَّا انْحَدَرَتْ مِن حَلقِ شَارِبِهَا أَجْدَتهُ حُمْرَتَهَا فِي العَينِ وَالخَدِ

فَالخَمْرُ يَاقُوتَةٌ وَالكَأسُ لُؤلُؤةٌ مِن كَفِ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةَ القَدِ [[12]](#footnote-13)

ولقد استجاب لهذه الدعوة كثير من شعراء العصر العباسي فوجدناهم يستحدثون مقدمات جديدة تلائم طبيعة العصر العباسي ، من جهة كما هي مقدمات وصف الطبيعة ( عند أبي تمام والبحتري ) والمقدمة الحكمية ( عند المتنبي وأبي تمام وأبي العلاء المعري ) ، ومنهم من حافظ على المقدمة التقليدية مع تقليص بعض عناصرها [[13]](#footnote-14)، فنجذ " أشجع السلمي " يستهل قصيدته في مدح الرشيد بوصف ماجن للخمر أشاح عنه الرشيد لما أنشدها برغم ما أضف عليه من صفات برغم جودة القصيدة ، ومنها :

لاَ عَيشَ إِلا فِي جُنُونِ الصِبَا فَإن تُوُلِي فَجُنُونُ المُدَامِ

كَأسٌ إِذَّا مَا الشَيخُ وَالَى بِهَا خَمسًا تَرَدَى بِرِدَاءِ الغُلاَمِ

ظَاهِرَةُ الحُسْنِ إِذَّا جُرِدَتْ لَطِيفَةٌ المَسْلَكِ بَينَ العِظَامِ [[14]](#footnote-15)

هذا ويعد أبو نواس شاعر الخمرة بلا منازع ، يعد من أوائل الشعراء الذين جعلوا للخمرة قصائد مطولة ،على عكس ما كان سائدا قبله ، كما رأينا عند الأعشى أو عدي بن زيد العبادي ، أو الوليد بن يزيد ، كما أن أبو نواس نظم بعض قصائد في مقطوعات وذلك تمجيدا للخمرة ، ولتصبح هذه القصائد صالحة للغناء والتلحين ، وتأييدا لمذهبه في الأدب والمجون .

قال العتابي لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس ، والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما أفضل عليه أحد ، وقال أبو عمرو الشيباني ، أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة ، الأعشى والأخطل وأبو نواس ،وقال محمد بن عمر لم يكن شاعر في عصر أبي نواس إلا وهو يحسده لميل الناس إليه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيته وظروف لسانه.

ولم يحب أبو نواس الخمر كما أحبها الأعشى والأخطل وغيرهما ، أي لم يعتبرها وسيلة الفرحة والنشوة فحسب بل زاد على ذلك أنه أحياها ، ورأى فيها شخصا حيا ، لا على سبيل المجاز ، بل على سبيل الحقيقة ، فإنه رأى فيها حياة عندما رآها تغلي وتفور وتضطرم وتألق إئتلاقا وتسري في الجسم سريانا ، وتنبعث فيه الحرارة والنشاط ، كما تصبغ العينين والخدين بحمرة الدم .[[15]](#footnote-16)

فهي ذات روح يحاول أبو نواس أن يسئلها من الدن ليجعل في جسمه روحين ، وهي كانت أشبه بكائنات عالم الأفلاك الذي جعله الفلاسفة فوق العالم المادي وتحت العالم الروحي ، إذ هي مادة روحانية تتصف باللطافة فيكاد الماء لا يمازجها وهي نور متلألئ ، بل هي معنى من المعاني المفارقة أي التي تغاير المادة حتى أصبحت من المعقولات بالفعل ، تحس بها الروح ،وتناجيها وتتعشقها لأنها جمال من المجاملات الأفلاطونية ،[[16]](#footnote-17) قال أبو نواس :

اِكْسِرْ بِمَائِكَ حَدَةَ الصَهْبَاءِ فَإِذَّا رَأيتَ خُضُوعَهَا للمَاءِ

فَاحْبِسْ يَديكَ عَن التِي بَقِيتْ بِهَا نَفْسٌ تُشَاكِلُ أَنفسَ الأَحيَاءِ [[17]](#footnote-18)

لما عاد أبو نواس إلى بغداد ، لم يلبث الرشيد أن توفى وخلفه الأمين (193-194 هـ) وكان فيه ميل شديد للهو فحول قصر الخلاقة إلى مقصف كبير للغناء والرقص واتخذ أبا نواس نديما له بمدحه وينظر له ما شاء من غزل وخمر ، واستغل ذلك المأمون حين عزم على حرب الأمين ، فكان يعمل كتبا بعيوبه تقرأ على المنابر بخراسان ، وكان مما عابه به أن قال أنه استخلص رجلا شاعرا ماجنا كافرا يقال له الحسن بن هانئ ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ويهتك المحارم[[18]](#footnote-19) ، وهو قائل :

أَلاَ فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُل لِي هِيَ الخَمْرُ وَلاَ تَسْقِنِي سِرًا إِذَّا أَمكَنَ الجَهْرُ

وَبُحْ بِاسْمِ مَن تَهوَى وَدَعْنِي مِنَ الكُنَى فَلاَ خَيرَ فِي اللَذَاتِ مِن دُونِهَا سِترُ [[19]](#footnote-20)

يتضح لنا مما سبق أن أبو نواس كان في حالة نفسية غريبة وإن تلك الحالة زجته في حياة المعصية ،وقادته إلى فلسفة خاصة في الدين والحياة ، فقد كان مرهف الحس إلى حد بعيد فتغلبت عليه نزعاته وميوله ، وهذا الأمر لا بد من التنبيه له لفهم آرائه كما أنه لا بد من التنبيه لأمر آخر هو أن أبا نواس قال القسم الكبير من شعره الذي نثر فيه آراء في الدين والحياة حين كان في سكرة الخمرة والطرب وفي حالة تقرب من ذلك ، وكتب الأدب مليئة بأخبار الشاعرات [[20]](#footnote-21).

ومما لا شك فيه أن الشاعر كان مؤمنا في قرارة نفسه ،أي ذلك المؤمن الذي لا يقيده قيد ديني ، ولا يضبطه ضابط أخلاقي ، فهو المؤمن العاصي ،وما تصريحه بالكفر في بعض شعره إلا تطرف وامتداد للمعصية والانفعالات الجنسية وما إلى ذلك .

ألَمْ تَرَنِي أَبْحَثُ اللَهْوَ نَفسِي وَدِينِي ، وَأَعْتَكِفُ عَلَى المَعَاصِي

كَأَنِي لاَ أَعُودُ إِلَى مَعَادِ وَلاَ أَخشَى هُنالِكَ مِن قَصَاصِ[[21]](#footnote-22)

ومعاني أبي نواس في الخمر يكاد ينالها الإحصاء ، ونستطيع أن نقسمها إلى قسمين اثنين : القسم الأول : هذه المعاني الكثيرة التي كانت تعجب القدماء وتفتن النقاد منهم ، ثم أصبحت لا تعجبنا ،أو لا تفتننا على أقل تقدير ، كتشبيه الخمرة بالعذراء تخطب إلى أبيها الذّهقان ، وكالإسراف في وصف قدم الخمر وما مر عليها من الأجيال والعصور ، وكالافتتان في وصف طعم الخمر وريحها [[22]](#footnote-23).

القسم الثاني هذه المعاني التي أعجبت القدماء وفتنتهم ، وما زالت تعجبنا وتفتننا لأنها لاءمت دوق القدماء وحياتهم ، وما زالت تلاءم دوقنا وحياتنا ، لأنها حببت إلى القدماء شرب الخمر ، وما زالت تحبب إلى المحدثين شرب الخمر ، وهذه المعاني قليلة في شعر أبي نواس ، قليلة في شعر غيره من الشعراء ، قليلة في الخمريات ،ذلك لأن المعاني تتفق على استحسانها العصور المتباعدة ، والأجيال المتباينة قليلة بطبعها في كل فن من فنون الشعر والأدب [[23]](#footnote-24).

إذن فأبو نواس يعد من أعاجيب عصره في الشعر إذ كان يحضى بملكات شعرية بديعة ، وهي ملكات صقلها بالدرس الطويل للشعر القديم واللغة العربية الأصيلة ،حتى قال الجاحظ "ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس وأضاف إلى هذا العلم علما دقيقا بقوالب الشعر الجاهلي والإسلامي وما صارت عند بشار وأضرابه من أوائل العباسيين ، ومن خلال هذه القوالب جميعها أخذت شخصيته تنمو في اتجاهين في اتجاه يحافظ فيه على التقاليد الموضوعية دون أن يشتط في التجديد ، واتجاه يجدد فيه تجديدا واسعا، يجدد في معانيه وألفاظه [[24]](#footnote-25).

والجدير بالذكر أن شعراء كثيرين مهدوا الطريق لأبي نواس في الشعر الخمري كالوليد بن يزيد والحسين بن الضحاك ، الذي عاصر أبا نواس وصاحبه ، فضلا عن القدامى الذين كانوا رواد الحركة الخمرية ، من أمثال عدي بن زيد العبادي ، والأعشى وعبدة بن الطيب الذي بلغ الأوج في وصف الخمرة ،[[25]](#footnote-26)

وبذا فإن الشعر الخمري أخذ بالتطور عبر مراحل زمنية متفاوتة ، وهذا التفاوت الزماني هو ما أكسبه خاصية التطور ، وأبو نواس أراد أن يكون للخمرة مذهبا وأراد أن ينصب نفسه داعيا لها ، وأن يجعل الندمات أتباعا فكانت للخمرة منزلة خاصة عند أبي نواس قال أحمد عبد المجيد الغزالي " والخمرة التي يشربها أبو نواس خمرة حسية ما في ذلك ريب ، ولكنه من فرط شغفه بها ، قد انتقل بها من الحسية إلى المعنوية فجعلها فكرية شائعة تحس بها الروح ، وجعلها معنى دقيقا أشبه ما يكون برجم الظنون وشيئا لا يحس إلا بالغريزة ، وروح لا يقوم بها جوهر من اللطافة ولا يشف عنها نور من الصفاء ، وترقى به العشق درجات في معراج الفتنة ، فأخذ شعوره بها يقترب من شعور المتصوفين بالآلهة ، فلها آلاء وأسماء حسنى ، ولها صفات تجل عن الشبه والمثل [[26]](#footnote-27).

ومن أسباب رواج شعر أبي نواس أن كان لشعره بريق أخاذ وأريحية غلابة تأتيه من قوة طبع وكان شعره يشبه العصر الذي عاش فيه ، أو على الأصح يشبه جانبا كبيرا من حياة عصره وينطبق عنه بأسلوب محكم لا يفلت عنانه من يد صاحبه إلا في القليل ، ثم إن شخصية أبي نواس نفسه كانت محببة إلى النفس ، غير منغمرة بأية صورة ....وكانت له صداقته المعهودة ، مع كبار رجال عصره ، فكان ذلك يقوم إلى جانب شعره في نفوسهم فيقع منها موقعا حسنا ويحل منها محلا لطيفا سهلا ، وقد عاصر أبو نواس الأصمعي ، وأبا عبيدة ، والنظام ، والجاحظ والشافعي ووقع شعره من نموس أكثر من عاشر وعاصر موقعا جميلا وإنهم ليلومونه جميعا على تحرج بعضهم من بعض شعره ....[[27]](#footnote-28)

وهذا كله زاد الشاعر جرأة وجعله في نطر الناس رأس المدرسة التجديدية في الشعر الخمري.

**المبحث الثاني : دراسة تطبيقية : دراسة قصيدة أبي نواس**

**مدعي الفلسفة وفق المنهج الواقعي**

روي أن أبا نواس صاحب في صباه إبراهيم النظام ثم افترقا وكان النظام خلال ذلك قد اعتنق مبادئ المعتزلة وصار على رأس فرقة منهم ، فلما التقيا بعد هذا دعا النظام النواسي إلى اعتناق مذهبه ولامه على شرب الخمر ، ومجاهرته بالعصيان ، وخوفه من عاقبة ارتكابه للكبائر لأن مرتكب الكبيرة في رأي المعتزلة مخلد في النار ، فعرض به النواسي في هذه القصيدة :[[28]](#footnote-29)

دَعْ عَنْكَ لوْمِي فإنَّ اللوْمَ إغراءُ               وَدَاوِني بالتي كانَتْ هيَ الداءُ

صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتها              لـوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

قـامَتْ بإبْـريقِها والليلُ مُعْتَكِرٌ              فَلاحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي البَيْتِ لألأءُ

فَأرْسَلتْ مِنْ فَمِ الإبريقِ صَافِيَةً                كـأنَّمَا أخْذُها بالعَيْنِ إغفـاءُ

رَقَتْ عَنْ الماءِ حتى ما يُلائِمُها               لـطافةً وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الماءُ

فلوْ مَزَجْتَ بِهَا نُوراً لمَازَجَهَا                  حَتَى تُولَدُ انْواُرُ  وأضواءُ

دارَتْ على فِتْيَةٍ دانَ الزمانُ لهُمْ               فمَا يصيبُهُمْ إلا بِمَا شاءُوا

لِتِلْكَ أبْكِي ولا أبْكِي لِمَنْزِلَةٍ                   كانَتْ تَحِلُ بِهَا هِنْدُ وأسماءُ

حاشا لدرة ان تبنى الخيام لها                 وأن تروحَ عَليْها الإبلُ والشاءُ

فقل لمن يدّعي في العلمِ فلسفةٍ              حَفِظْتَ شيئاً وَغابَتْ عَنْكَ أشيَاءُ

لاَ تَحْظَرِ العَفوَ إِن كُنتَ اِمُرأً حَرِجًا فَإِنَّ حَظرَكَهُ فِي الدِينِ إِزْرَاءُ  [[29]](#footnote-30).

إن شعر أبي نواس يعبر دائما عن تجاربه الذاتية وعن تجارب مجتمعه في آن واحد على نحو من التفاعل الطبيعي [[30]](#footnote-31)، وبواقعية فيها شعوبية صارخة .

في بداية القصيدة وجه أبو نواس خطابا ساخرا لمن لامه على شرب الراح قائلا له :

دَعْ عَنْكَ لوْمِي فإنَّ اللوْمَ إغراءُ               وَدَاوِني بالتي كانَتْ هيَ الداءُ

فأبو نواس يوجه خطابا ساخرا لمن لامه على شرب الراح، وقال إن دواءه من علته هو الداء أي الخمرة ، وفي قوله أن اللوم إغراء يعتبر أن اللوم بما هو دعوة إلى الإرتداد والإحجام قد يستحيل دعوة إلى الإقدام والاستمرار وبذلك يخلق المفهوم نقيضه والموقف ضديده وقد قدم أبو نواس حجة نفسية عبر ثنائية اللوم والإغراء وفي الشطر الثاني من البيت الأول يعتبر الشاعر أن الخمرة بما هي داء قد تغدو دواء وليس في مكنة كثير من مدمني الخمرة أن يحيوا إلا بها ، ذاكرا لون الخمرة وتأثيرها ثم انتقل لوصفها وهي قائمة في إبريقها متلألئة بفقاقيعها المضيئة ، كأنها مصابيح متوهجة تطارد سدول الليل .

وتحدث الشاعر في البيت السابع عن عصابته، أنهم فتية على قدر كبير من الذكاء والفطنة تحللوا من كل القديم ، وانغمسوا في اللهو فخضع الزمان لمشيئتهم ، واستجاب لرغباتهم .

وفي البيت التاسع البكاء على الخمرة والتهكم على الأطلال ، فقد دعا أبو نواس إلى تغيير شكل القصيدة التقليدية من الوقوف على الأطلال ، وذكر الأحبة وما تركوا من آثار لأن هذه المظاهر متكلفة ، ومن صفات البداوة وتوحي بشظف العيش ، ومن تم يطالبهم بإحلال عروس جديدة هي الخمر وحاشا هذه الدرة أن تسكن الخيام أو تجاور الإبل والشاة ، فأبو نواس بهذه الأفكار يعبر عن احتقاره للأعراب ومن تشبت بتقاليدهم ، وعاداتهم التي أصبحت لا تتماشى مع طبيعة العصر .

وفي البيتين الآخرين من القصيدة يوجه أبو نواس خطابه لشيخ المعتزلة إبراهيم النظام الذي لامه على اللهو والمجون والزندقة قائلا مهما تفقهتم في أمور الدين تبقى معارفكم قاصرة لا تمثل إلا قطرة من بحر فليس بإمكانكم معرفة قبول التوبة من عدمها ، فالله هو الذي يعلم عمن يتوب أو لا يتوب أما تحرجكم من العفو على المذنبين ، والمستهترين بالدين فهو احتقار للدين ، لأن الله غفور رحيم ، ولعل أبو نواس يشير بذلك إلى ما ورد في الآية الكريمة :

قال تعالى : " يَا عِبَادِي الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهم لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُنُوبَ جَميعًا إِنَّه هُوَ الغَفُورُ رَّحِيمْ "[[31]](#footnote-32).

إذا رجعنا إلى شخصية أبي نواس وأخذنا بنظرية النقد الواقعي هذه في دراسة نشاطه الفني ، كان لنا أن نرى في شعره وخمارياته بالخصوص ، تأثرا واضحا بمكتسبات بيئته وعصره ، سلبا وإيجابا ...[[32]](#footnote-33) ففي مطلع القصيدة كما رأينا أن أبو نواس وجه خطابا ساخرا لإبراهيم النظام ، والواضح أنه تأثر بمكتسبات ، بيئته وعصره ، فقد اكتسب انحرافات كانت شائعة في مجتمعه ، وأن أبا نواس حينما وجه الحديث للنظام فإنه كان يدرك مغبة إنزلاقه في انحرافات كانت تشين مكانته في مجتمعه ، وكان يدرك ثانيا محنة القلق والمظالم والاضطراب النازلة في جانب من معاصريه ، ومن هنا فقد كان أبو نواس يعاني مشكلة عميقة في سلوكه وسيرته وشعره معا .

كما أن إدمانه الخمر كان هوسا ، ولم يكن مجرد عادة أو لذة دوقية [[33]](#footnote-34)،وبالعودة للقصيدة فإن شاعرنا يقصد بالداء – في البيت الأول – أن إدمان الخمر وما تصحبه في النفس من الرغبة الملحة في شربها هو نفسه داء يتداوى منه بالشرب وخاصة عندما تنقطع الخمر فيشعر مدمنها بصداع متواصل لا يزيله غير شرب كأس.

فأبو نواس يأبى النصح ، ويعتبر اللوم زيادة في الإغراء وتحريضا على مواصلة التعاطي بشغف ، كيف لا ،وكل ممنوع مرغوب ؟

وبعد هذا التعليل المحبوك ، انتقل الشاعر إلى وصف الخمرة وأثرها على الجسد والنفس وخلع عليها كل صفات الجمال ، والكمال وعرج بالحديث إلى ندمائه بإيجاز في بيت واحد ، على أنهم فتية تحرروا من كل القيم ، وتصرفوا في أيامهم كما يحلوا لهم ، فخضع الزمان لإرادتهم

ولقد اشتهر أبو نواس بشعره الخمري والغزلي ، ونحن نجد أن أجمل شعره ما كان تعبيرا عن مجالس خمره وشرابه ، وعن شهواته الحسية ، فالخمرة عنده وسيلة تعين على المسرة والغبطة ، ويخصها بأفضل الصور ، فهو يرى النور يطلع دائما من الخمرة ...وكأنها عنده منبع الأمل ، وكأن الحياة عنده مغلقة بالظلام ، ولعله ظلام اليأس ، وهذه الظاهرة الفنية متصلة بتلك الظاهرة النفسية التي انحدرت به إلى ما وصفناه بالمسلك الانهزامي .

ومن خلال التتبع لأشعار أبي نواس وخاصة الخمرية منها نشعر أن الرجل كان واقعيا ، فقد كان تحت وطأة شعور خفي غامض ثقيل ، شعور يكمن فيه القلق والألم ، وإن كان ظاهره السطحي يصور لنا بادي المرح والمسرة والشغف .[[34]](#footnote-35)

ونحن نشعر في أول وهلة ، في معظم تلك الأشعار الخمرية ، أنه كان يحيا أيامه ولياليه في ازدواجية مرهقة ، تتوزع بها نفسه بين الشعور الغامض بوطأة الواقع والشعور ببهجة دنياه التي تشرق من جنابات الكأس أو من عربدات الندامى ....

ولكن عند التحليل نجدها ازدواجية سطحية لأن الشعور الثاني ليس هو في الواقع سوى رد فعل للشعور الأول ،أي إنه شعور بالحاجة إلى الهزيمة الوجدانية من ذلك الواقع " المأساة "، وما كانت البهجة التي تطفح بها كأسه وتنتهي بها نفسه سوى إيحاء من هذا الشعور ذاته [[35]](#footnote-36).

وحياة أبو نواس كما نعرفها ترينا إياه إنسانا استدرجته ظروف نشأته العائلية ، وظروف بيئته الثقافية والاجتماعية إلى منزلقة من السلوك الشاذ الذي وصفته الروايات وهي تحدتنا عن سيرة حياته ، وحين نصف سلوك أبي نواس بأنه شاذ إنما نقصد الشدود بالنسبة للقيم الخلقية المطلقة ، ولكن إذا نسبنا سلوكه إلى سلوك الفئة الاجتماعية التي اتصل بها وربط حياته بحياتها لم نجد في سلوكه شدودا عن سلوك تلك الفئة التي كانت كثيرة الانحرافات وقتئد وبهذه النظرة الواقعية إلى مسلك أبي نواس نستطيع أن نحدد طبيعته بأنه مسلك انهزامي ، سواء كان ذلك عن قصد منه أو كان مجرد انزلاق غير واع ، في مفاسد مجتمعه وفي انحرافات تلك الفئة الاجتماعية التي انتقل إلى صفها وصار واحدا منها رغم إرادته ووعيه[[36]](#footnote-37).

وفي البيتين الثامن والتاسع ، يتهكم أبو نواس من الوقوف على الأطلال ويستبدلها بالبكاء على الخمرة فيقول :

لِتِلْكَ أبْكِي ولا أبْكِي لِمَنْزِلَةٍ                   كانَتْ تَحِلُ بِهَا هِنْدُ وأسماءُ

 حَاشَا لِدُرَةٍ أَن تُبنَى الخِيَامُ لَهَا                 وأن تروحَ عَليْها الإبلُ والشاءُ[[37]](#footnote-38)

وهذان البيتان يحملان في طياتهما شعوبية صارخة ، ودعوة صريحة لكسر المقدمة الطللية واستبدلهما بأخرى خمرية تماشيا مع متطلبات العصر .

ومن هنا أراد أبو نواس أن يشرع للناس مذهبا جديدا ، وهو التوفيق بين الشعر وبين الحياة الحاضرة ، بحيث يكون الشعر مرآة صافية تتمثل فيها الحياة ومعنى ذلك العدول عن طريقة القدماء ، لأن هذه الطريقة كانت تلائم القدماء وما ألفوه في ضروب العيش ، فإذا تغيرت ضروب العيش هذه وجب أن يتغير الشعر الذي يتغنى بها [[38]](#footnote-39).

ومن هنا فإن أبو نواس يدعوا الشعراء بأن يكونوا واقعيين في أشعارهم ، وذلك بوصف القصور والحدائق والخمور ، لأنها جزء من الحضارة التي يعيشون فيها ، أما الوقوف على الأطلال فإنه من سنن الأولين ، يمثل طريقتهم في العيش ، كما انه مفروض من طريقة عيشهم ومع مرور الوقت ، تبدلت الأحوال المعيشية أولا فقد كان العربي يسكن الخيام ومن كثرت تنقلهم طلبا للعيش لهم ولدوابهم ، كان العربي يحن للديار التي سكنها فكان الوقوف على الأطلال والبكاء عليها حتمية لأسباب اجتماعية وغيرها .

أما بالنسبة للشعراء المعاصرين لأبي نواس ففي وقوفهم على الأطلال والبكاء عليها شيء من التكلف والكذب والأحرى بهم أن يصفوا القصور والحدائق ومجالس الشرب لأنها جزء من حاضرهم ، فكان أبو نواس قائد المدرسة التجديدية ، الداعية لواقعية أكبر وقد استجاب لدعوة النواسي عدد من الشعراء كأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري فكانت مقدمات وصف الطبيعة والمقدمة الحكمية .

وهذا الهوس بالنعي على الرسوم والطلول إنما هو الازدراء بأهلها وبعيشهم وفخارهم ، الذي عز عليه أن يجاريهم فيه والإشادة بالخمر التي لا يدرك الكفاءة لها كل شارب ، ولا يسمو الشاربون لها إلى مثل شمائل أبي نواس [[39]](#footnote-40)

عَاجَ الشَقِيُ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُه وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَن خَمَارَةِ البَلدِ

يَبْكِي عَلَى طَلَلِ المَاضِينَ مِن أَسَدٍ لاَ دَرَّ دَرُكَ قُل لِي مَن بَنُو أَسَدٍ

وَمَن تَمِيمُ وَمَن قِيسُ وَلُفَهُمَا لَيسَ الأَعَارِيبُ عِندَ اللهِ مِن أَحَدٍ

فمن الحظ من قيمة الوقوف على الطلل ينتقل أبو نواس إلى الحط من قيمة العرب وافتخارهم بالآباء والأجداد ، وهنا نلتمس شعوبية أبو نواس ، وتفضيله للفرس على العرب كما يعتبر أن البكاء على الطلل من شأنه أن يعين على الشجي والشجن أما الخمرة فوسيلة تعين على المسرة والغبطة ، وإنه ينكر إيقاف الزمن على الطلل لأنه من الماضي الذي ولى واندثر برموزه ووجدانه ولكنه يقبل أن يوقفه على الخمرة ويبكي عليها ويحزن لأنها من حجر الفلاسفة الذي يكتسب القوة السحرية على تحويل الأمور وإضفاء الحركة والحياة في أبعد الكائنات عن الحركة والحياة " لو مسها حجر لمسته سراء" .

وفي البيتين الأخيرين من القصيدة يوجه أبو نواس الحديث مباشرة إلى شيخ المعتزلة الذي لامه على اللهو والمجون فيقول :

فقل لمن يدّعي في العلمِ فلسفةٍ              حَفِظْتَ شيئاً وَغابَتْ عَنْكَ أشيَاءُ

لاَ تَحْظَرِ العَفوَ إِن كُنتَ اِمُرأً حَرِجًا فَإِنَّ حَظرَكَهُ فِي الدِينِ إِزْرَاءُ [[40]](#footnote-41) .

المعرفة عند أبو نواس وهم من الأوهام لما أنها نسبية لا يقينية ومحدودة لا كاملة ، ومعرفة النظام لا تعدو أن تكون نسبية إن لم تكن إلى البطلان أقرب منها إلى الرجحان ، وبالتالي لا اتفاق على الحقيقة العلمية فضلا عن المعرفة الماورائية

والعفو والعقاب إذا اعتبر بعضهم أن شارب الخمر مخلد في النار واعتبر بعضهم الآخر أنه في منزلة بين المنزلتين لا هو بالكافر ولا هو بالمؤمن ويذهب بعضهم الثالث إلى العفو التام والمغفرة الشاملة لأن ثواب الله فضل وعذابه والعقاب عدل وله العفو عنه وأبو نواس من داخل النظرية الاعتزالية يرد على النظام ويدحض دعواه :

لاَ تَحْظَرِ العَفوَ إِن كُنتَ اِمُرأً حَرِجًا فَإِنَّ حَظرَكَهُ فِي الدِينِ إِزْرَاءُ [[41]](#footnote-42)

ومن تم يوجه أبو نواس خطابه ساخرا من النظام فيعتبر أن منع العفو ليس من باب الخطأ في فهم الدين فحسب بل هو من باب التحامل عليه والازدراء بجوهره والامتهان لقداسته وبنوع من التحويل الساخر ينتقل النظام على لسان أبو نواس من مقام المعظم للدين والحريص على تطبيق شريعته إلى مقام المستهين به والخارج عن شريعته .

فالقصيدة تميزت بتناسق أفكارها وإيجاز عباراتها فالكثير من معانيها مبتكرة ،وألفاظها بسيطة ولكنها منتقاة بعناية فكلمة اللوم توحي بالتقاليد والدين وكلام الناس كما أن لها أثر قوي على نفسية الإنسان وكلمة سراء تدل على زوال الهم وتوحي بالسعادة والطرب ولفظة " حاشا " تعبر عن التعالي والنفي والاستثناء ، أما أغلب جمل القصيدة خبرية تعبر عن مشاعر أبو نواس وأحاسيسه .

يعبر أبو نواس في قصيدته أولا عن أمر واقعي فرضته البيئة الجديدة ، فدافع عن سلوكياته وعقائده وآرائه ، كما أن خمرياته تمثل صورة صادقة لنفسه ، ولعصره ، فخرج الشاعر على الدين وقيمه وأخلاقه فهو يجاهر بشرب الخمرة التي حرمها الإسلام والتي اعتبرها داء ودواء في آن واحد ، فهي وليدة عصره نتيجة للحرية الواسعة التي أباحها الخلفاء إذ أن شرب الخمرة والتغني بها وليد الحياة الجديدة ، ومن افتتاحية القصيدة نرى أن أبو نواس كان مواكبا لروح العصر بافتتاحه القصيدة بمقدمة خمرية على عكس ما كان سائدا قبل هذا .

فخرج على مجتمعه بشعوبيته ودعا إلى كسر المقدمة الطللية واستبدالها بأخرى خمرية كما أن في القصيدة استهزاء بالعادات والتقاليد العربية ، وشغف بالحضارة الفارسية ، ففي قصيدة أبي نواس دعوة لمعاقرة الخمرة واستهزاء بمن يلومونه على شربها ، كما أن في قصيدته شعوبية واستهزاء بكل ما هو عربي ، وفي قصيدة النواسي شيء من الواقعية فرضتها عليه مستجدات الحياة الجديدة .

**المبحث الثالث : الآراء النقدية في شعر أبو نواس**

يعتبر أبو نواس أستاذ فن الخمرية في الشعر العربي ، سواء من حيث الكمية أو من حيث الكيفية ،فقد عاش للخمرة يتغنى بها ،مجاهرا بالفسوق والمجون ، وقد أثار أبو نواس جدلا كبيرا في أو ساط النقاد القدامى والمعاصرين ، وللدارس لحياة أبو نواس وشعره الخمري ، فعليه أولا أن يكون على دراية تامة حول هذه الشخصية المتميزة ، ونمط تفكيرها واكتشاف العلاقات الشخصية والروحية التي تربط بينها وبين البيئة التي نمت فيها ، إضافة إلى معرفة الحوادث السياسية والاجتماعية التي صاحبت تلك الفترة وخاصة موقف الخلفاء والنقاد إزاء الأشعار الخمرية لأبي نواس.

فالنقاد القدامى اهتموا بجمع أخباره التي تدل على ذكائه وكثرة علمه وأدبه ، وعلى مجونه وتهتكه .وإن للباحث عن أشعاره وأخباره أن يلاحظ كثرة الكتب التي وردت فيها أخبار أبي نواس ومنها :" الشعر والشعراء " لابن قتيبة ، و" البيان والتبين " للجاحظ ، و" الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني ، و" الكامل في اللغة والأدب " للمبرد ،و" طبقات الشعراء المحدثين " لابن معتز، و" رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري ، وفي كتب أخرى .ولمتتبع أخبار أبي نواس وأحواله أن يواجه أخبار كثيرة متضاربة تتناول شخصيته ودراسة أشعاره الخمرية ،منها ما تشير إلى كثرة علمه وفقه ، ومنها ما تسلط الضوء على مجونه وزندقته وكثرة أشعاره الخمرية وغزله للمذكر ،فالجاحظ يقول : كان أبو نواس متقنا في العلم ، قد ضرب في كل نوع منه بنصيب ،ونظر مع ذلك في علم النجوم يدلك على ذلك قوله :[[42]](#footnote-43)

أَلَمْ تَرَ الشَمسَ حَلَتِ الحَمَلاَ وَقَامَ وَزنُ الزَمَانِ فَاعتَدَلاَ

وَغَنَتِ الطَيرُ بَعدَ عُجمَتِهَا وَاسْتَوفَتْ الخَمرُ حَولَهَا كَمَلاَ

وعلى الرغم من مجونه إلا أنه يعد من أعاجيب عصره في الشعر إذ كان يحضى بملكات شعرية بديعة ،وهي ملكات صقلها بالدرس الطويل للشعر القديم واللغة العربية الأصيلة ،حتى قال الجاحظ :" ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس " [[43]](#footnote-44).

وقال ابن المعتز : " كان أبو نواس عالما فقيها ،عارفا بالأحكام والفتيا ، بصيرا بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطريق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخة ،ومحكمه ومتشابهه ...وكان أحفظ الأشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الإسلاميين والمحدثين [[44]](#footnote-45).

وشعر أبو نواس صورة لنفسه ،ولبيئته من ناحيتها المتحررة ، فكان شاعر الثورة والتجديد والتصوير الفتي الرائع ، وكان على كل حال شاعر الخمرة من غير منازع ، قال ابن الأعرابي يوما لجلسائه ، ما أشهر ما قال أبو نواس في الخمر؟ .

فقال بعضهم :[[45]](#footnote-46)

إِذَّا عَبَ فِيهَا شَارِبُ القَومِ خِلْتُهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَيلِ كَوكَبَا

وقال آخر :

كَأَنَّ كُبرَى وَصُغرَى مِن فَقَاقِعِهَا حَصبَاءُ دُرٍ عَلَى أَرضٍ مِنَ الذَهَبِ

وقال آخر :

فَكَأَنَّ الكُؤُوسَ فِينَا نُجُومٌ دَارَتْ بِرُوحِهَا أَيَادِينَا

وقال آخر :

صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتها        لـوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ [[46]](#footnote-47)

فقال ابن الأعرابي هذا كله لشاعر انفرد بالإحسان فيه ،وتقدم من سبقه ، ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا في قوله :

لاَ يَنزَلُ الليلَ حَيثُ حَلَتْ فَدَهرُ شَارِبِهَا نَهَارُ[[47]](#footnote-48)

وقد قدمه عدد من النقاد المعاصرين له في جودة أشعاره ودقت معانيه قال الجاحظ : " سمعت النظام يقول :وقد أنشد شعرا لابن نواس .كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه ،وقال بعضهم : كأن المعاني حبست عليه فأخذ حاجته وفرق الباقي على الناس ، وقال أبو حاتم :كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس .[[48]](#footnote-49)

كما يعد أبو نواس من الشعراء المتقدمين في عصره ،فكان أبو عبيدة يقول : ذهبت إلى اليمن بجد الشعر وهزله ،امرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله ،وكان يقول ذهبت إلى اليمن بجد الشعر في قديمه وحديثه ، امرؤ القيس في الأوائل وأبو نواس في المحدثين ،وكان يقول شعراء اليمن ثلاثة ، امرؤ القيس وحسان ابن تابت وأبو نواس ، وقال أيضا أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ، ودلهم على المعاني ،وأرشدهم إلى طريق الأدب والتصرف في فنونه ، وكان يقول : يعجبني من شعر أبي نواس قوله :[[49]](#footnote-50)

بَنِينَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءَ مَدَامَةٍ مُكَلَلَةً حَافَاتُهَا بِنُجُومِ

فَلَو رَدَ كِسْرَى بُن سَاسَانَ رُوحَهُ إِذَن لَصْطَفَانِي دُونَ كُلِ نَدِيمٍ

وقد آخذ بعض النقاد على أبي نواس التناقض في وصفه الخمر على شاكلة قوله :[[50]](#footnote-51)

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَفَا مِن حَبَابِهَا تَفَارِيقُ شِيبٍ فِي سَوادِ عَذرَاءٍ

فشبه حباب الكأس بالشيب ، وذلك قول جائز ، لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخر غيره ، ثم قال :

تَرَدَتْ بِه ثُمَّ اِنفَرَى عَن أَدِيمِهَا تَفَرِي لَيلٍ عَن بَيَاضِ نَهَارِ [[51]](#footnote-52)

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي في البيت الأول أبيض كالشيب ، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذراء هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار ،وليس في التناقض منصرف إلى جهة من العذر ،لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان .وكل منها في غاية البعد عن الآخر ،وأبو نواس حينما ظهر واستحدث بعض الطرائف الجديدة في تقاليد القصيدة العربية وفي فنون الشعر اختلف النقاد فيه بين مؤيد ومعارض ، كان أبو علي البصير ممن لا يرضى أبا نواس ، وفيه قوله :" الشعر بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يحسنهما ، وأجود شعره في الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ مسروق ،وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يعفى عليه ولا ينقله حتى يجيئ به نسخا ، فمن ذلك قوله :[[52]](#footnote-53)

دَعْ عَنْكَ لوْمِي فإنَّ اللوْمَ إغراءُ              وَدَاوِني بالتي كانَتْ هيَ الداءُ

أخذه من قول الأعشى .

وَكَأسٍ شُرِبَتْ عَلَى لَذَةٍ وَأُخْرَى تَدَاويْتُ بِهَا[[53]](#footnote-54) .

ولقد اهتم النقاد بسرقات أبي نواس الكثيرة ، وأخذوا يصنفون فيها كتبا مثل كتاب "سرقات أبي نواس " للمهلهل أحد شعراء القرن الرابع ورواته ، كما اهتم آخرون بسرقاته في الكتب التي جمعوا فيها أخباره ...وقد كان أبو نواس محور حركة نقدية نشيطة قامت حول شعره وسرقاته الأدبية ، فقد تتبع النقاد سرقاته وذكروا أنهم أخذ من الأعشى ،الوليد بن يزيد ، أبي الهندي ، والحسين ابن الضحاك وغيرهم .

فقد روي عن الحسين بن الضحاك أنه قال :" أنشدت أبا نواس قصيدتي "[[54]](#footnote-55)

وَشَاطِرِي اللسِانِ مُخْتَلِقِ التَكْـ رِيهِ شَابَ المُجُونُ بِالنُسُكِ

حَتَى بلغت قولي : تَخَالُهَا نَصْبَ كَأسِهِ قَمَرًا يَكْرَعُ فِي بَعضِ أَنجُمِ الفَلَكِ

قال فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إِذَّا عَبَ فِيهَا شَارِبُ القَومِ خِلتَهُ يُقَبِلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَيلِ كَوكَبًا

قال : فقلت له : يا أبا علي هذه مصالته ، فقال لي : " أتطن أنه يروي لك في الخمر معنى جديد وأنا حي ". وعن إغارته على أشعار الوليد بن يزيد ، يقول صاحب الأغاني :" وللوليد في ذكروا الخمر وصفاتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأخذوها في أشعارهم ،سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضيع منه [[55]](#footnote-56).

وأورد القاضي الجرجاني من شعر أبي نواس الفاسد العقيدة :

قُلْتُ وَالكَأسُ فِي كـَ فِي تَهوَى لاَ لِتَنَامِي

أنَّا لاَ أَعرِفُ ذَاكَ الـ يَومَ فِي ذَاكَ الزِحَامِ [[56]](#footnote-57)

واضح ما يحتوي عليه البيتان من كفر بين لإنكاره ليوم البعث وقوله :

أأَترُكُ لَذةَ الصَهبَاءِ نَقدًا لِمَا وَعَدُوهُ مِن لَبَنٍ وَخَمْرٍ

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوتٌ ثُمَّ بَعتٌ حَدِيثَ خُرَافَةٍ يَا أُمَ عَمْرُو [[57]](#footnote-58)

وقد أورد الجرجاني هذه الأبيات لا ليرفع قدرها ، وإنما ليقول أنه برغم قوله لهذه الأشعار السيئة الفظيعة في معانيها إلا أنها تنف عنه شاعريته في غيرها ، وهو على أية حال أورد هذه الأبيات ليدافع عن المتنبي ممن انتقده لذكر بعض الأبيات الدالة على ضعف العقيدة ، وفساد المذهب في الديانة [[58]](#footnote-59).

قال الحاتمي : سمعت ابن الأعرابي يقول : أمدح بيت قاله مولد قول أبي نواس :

تَغَطَيتُ مِن دَهْرِي بِظِلِ جَنَاحِهِ فَعَينِي تَرَى دَهرِي وَلَيسَ يَرَانِي .

فَلَو تَسْأَلُ الأَيَامَ عَنِي مَا دَرَتْ وَأَينَ مَكَانِي ؟ مَا عَرَفْنَ مَكَانِي [[59]](#footnote-60)

قال صاحب الكتاب ، نحن إلى الانصراف أحوج منا إلى المكابرة والخلاف ، وأبو نواس ذهب مذهبا لطيفا ،يخرج له فيه العذر والتأويل ،وإلا في صفة الخمول أشد مما وصفه لا سيما على رواية من روى ، " فلو تسأل الأيام عني " وسئل يعقوب بن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال : " إذا أردت من الجاهليين فلامرئ القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلأبي نواس فحسب ، وقيل للعتابي من أشعر الناس ؟ قال : عند الناس أو عندي ؟ قيل عند الناس ، قال : امرؤ القيس ، قيل فعندك ؟ قال : أبو نواس ، وقال عبد الله بن محمد بن عائشة : من طلب الأدب فلم يروي شعر أبي نواس فليس بتام الأدب .

ومن هنا نرى أن جل آراء النقاد القدامى حول أبي نواس تدل على شيء مهم عن حياته وأشعاره وكثرة أدبه من جهة وعن مجونه وكثرة خمرياته من جهة أخرى.

أما النقاد المعاصرين فقد كانت دراستهم لأبي نواس من جانب واحد ، ارتكزوا عليه في أغلب دراساتهم وهو الجانب النفسي لأبي نواس ، وأهملوا الجوانب العلمية والأدبية من حياته ، وكان ارتكازهم على أشعاره الخمرية خاصة التي تعتبر مرآة تتجلى فيها حياة المجتمع في ذلك الوقت ، قال أحمد عبد المجيد الغزالي في مقدمة ديوان أبي نواس : " إن أبى نواس حقيقة كان يصور جانبا عامرا من جوانب النفس الإنسانية بهذا اللهو الذي أوغل فيه بعنف ، صور أبو نواس هذا الجانب الإنساني أدق تصوير وأبرعه ، ومن هنا تعشقته النفوس ، وتعلقت به القلوب ، لأنها وجدت فيه ريحها وغذاها...........ولم يحدث أن رزق شاعر قبل الحسن أو بعده مثل هذه الخطوة عبر القرون والأجيال ، مما جعل اسمه يتردد على ألسنة العامة والخاصة في كل زمان ومكان حتى هذه الأيام [[60]](#footnote-61).

وبعدها ينتقل عبد الحميد الغزالي إلى جانب مهم من حياة ابن نواس ، والذي يعتقد أغلب النقاد أن هذا الجانب قد أثر على أبي نواس في كبره ، وهو ما دفعه إلى حياة اللهو والمجون وكون له عقدة نفسية ، بدت ظاهرة في أغلب أشعاره ، وهذا الجانب هو صلته بأمه ، والروايات المتناقضة حولها ، يقول عبد الحميد الغزالي : " فقد نشأ الحسن يتيما في كنف أم شغلها عنه مطالب العيش ، والسعي الدؤوب من أجله ومن أجل إخوته ، واضطرتها الحاجة إلا أن تجعل من بيتها ملتقى لرواد المتعة ، وطلاب اللذة ، يجتمعون في منزلها فيشربون ويقصفون ، ويقضون مآربهم تحت سمعها وبصرها ،

وربما تحت سمع الوليد الناشئ وبصره كذلك ....ثم انتهت بها الحال إلى علاقة برجل من أهل البصرة ، تناقل الناس حديثهما فتزوجت منه قطعا للألسنة ...وبهذا الزواج انقطعت تلك الصلة الضئيلة التي كانت تربط الأم بابنها ، والتي كانت تفرض عليها أن ترعاه في نشأته وأن تراقبه في طفولته ...."[[61]](#footnote-62).إلا أن جل كتب التاريخ تروي أن الحسن كان شديد الذكاء ، مولعا بالعلم ، حافظا للقرآن ، ومداوما على العمل عند العطار في النهار ، وعلى حضور حلقات الدرس عند المساء ، يقول الغزالي في مقدمة الديوان :" وكان الحسن من الذكاء ، وتفتح النفس ، والنهم الشديد للعلم بحيث لا تفوته ليلة لم يركب ظلالها إلى المسجد ولا حلقة لم يجلس إليها ، ولا عالم أو راوية ، أو محدث إلا استمع إليه ونقل عنه " وإذا كان أو نواس في طفولته ينهل من مجالس العلم حافظا للقرآن ، فكثير من النقاد يذهبون إلا أن أبو نواس أكب على تعاطي الخمر بروح جائعة وقلب طامئ ، تلمسا لأسباب العطف ، إذ وجد من اللذة والنشوة شيئا مثيرا ، مما ولد له نفسية وحزن في الأعماق ، قال حنا الفاخوري : " والذي عقد نفسية أبي نواس ، أو زادها تعقيدا ، ما لقيه من جنان ، وما عاناه بسبب ذلك الخفاء ، ولذا كان في قرارة نفسه دائم الحزن والهم ، وقد أكثر من التلميح إلى همه في وصف الخمر التي تبدد الهموم وتكشف الغيوم ، وهكذا عانى تجربة قاسية علمته أن الحياة صراع دائم بين الرغبة والخيبة وأنها ميدان شقاء لا فرار منه إلا بتخيل قوي الوعي"[[62]](#footnote-63).

وهناك مسألة أخرى أثارت جدلا كبيرا في أوساط النقاد وهي غزله للمذكر ، فذهب بعض النقاد للقول بأنه من إخفاقه في حب جنان دور هام في توجيه شعره ، مما ولد له فلسفة خاصة وشذوذ جنسي ، وفي هذا يقول حنا الفاخوري :" وصادف ذلك من أبي نواس ميلا حقيقيا إلى الغلمان فانقطعت كل صلة تربطه بالمرأة ولم يعد يحس بهذا العطف الغريزي الذي يكون بين الرجل وبينها ، وراح يتخوف من المرأة ويتجنبها ، وقد بقي الحسن على حد قول أحمد الغزالي طيلة حياته هذه العقدة النفسية تصرف مشاعره وتحدد علاقاته بالناس ، وتجعل له في المرأة والحياة فلسفة خاصة "[[63]](#footnote-64)

وقال د شوقي ضيف : " وعلى الرغم من ظرفه لم يكن قريبا من نفس المرأة التي عاصرته ، فقد كانت تزدري فيه غلامياته وسيرته الشاذة ، وكانت أول إمرأة شغفته حبا وهو لا يزال في البصرة يختلف إلى المربد وحلقات العلماء جنان جارية الثقفين " [[64]](#footnote-65).وللباحث في أخبار أبي نواس ، أن يدرك أن غزله للمؤنت كغزله للمذكر وفي هذا يقول عباس محمود العقاد: " لا يجزم الناقد برجحان غزل المؤنت منها على غزل المذكر ، ولا يرجحان غزل المذكر منها على غزل المؤنت ،وإذا اتفق تفضيل قطعة من هذا الغزل على قطعة من ذاك الغزل ، فكما يتفق تفضيل القطعة على الأخرى في الغزل الواحد ، أو كما يتفق التفاضل بين كلام الشاعر في بعض أغراضه أو في جميع أغراضه "[[65]](#footnote-66) كما كانت الخمرة هي التي يفرغ فيها أبو نواس أحزانه ، تمخض عنها شعره الخمري ، فكان أبو نواس شديد التعلق بالخمرة ، وفي هذا يقول حنا الفاخوري : " ولم يحب أبو نواس الخمرة كما أحبها الأعشى والأخطل وغيرهما ، أي لم يعتبرها وسيلة إلى الفرحة والنشوة فحسب ، بل زاد على ذلك أنه أحياها ، ورأى فيها شخصا حيا ، لا على سبيل المجاز ، بل على سبيل الحقيقة فإنه رأى فيها حياة عندما رآها تغلي وتفور وتضطرم ، وتسري في الجسم سريانا ، وتبعث فيه الحرارة والنشاط ، كما تصبغ العينيين والخدين بحمرة الدم [[66]](#footnote-67). ومن خلال رأي حنا الفاخوري يتضح لنا أن أبو نواس جعل الخمرة ذات روح من كثرة تعلقه بها.

ولا يختلف اثنان على أن أبو نواس ذا أدب وذكاء كبيرين كما تأكده جميع الكتب القديمة قال شوقي ضيف : " وأبو نواس على الرغم من مجونياته ، يعد من أعاجيب عصره في الشعر إذ كان يحظى بملكات شعرية بديعة ، وهي ملكات صقلها بالدرس الطويل للشعر القديم واللغة العربية الأصيلة ، حتى قال الجاحظ : " ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس [[67]](#footnote-68).ويقول طه حسين : " أن شعر أبي نواس في الخمرة لم يكن هزلا كله ، ولم يكن الغرض منه المجون وحده أو الإسراف في وصف اللذات وإنما كان أبو نواس يتخذ الخمر وسيلة إلى شيء من الجد ، له خطره في الأدب ووسيلة إلى شيء آخر من الجد له خطره في غير الأدب " [[68]](#footnote-69)، وعن شعره الخمري وثورته التجديدية الداعية لكسر المقدمة الطللية ، وذم طريقة القدماء في العيش فيقول طه حسين :" على أن من الحق أن نعرف لأبي نواس شيئا غير هذا الفسق والإغراق في المجون ، وهو أنه كان يريد أن يتخذ ، ويتخذ الناس معه ، في الشعر مذهبا جديدا ، وهو التوفيق بين الشعر والحياة الحاضرة ، بحيث يكون الشعر مرآة صافية تتمثل فيها ،الحياة الحاضرة "[[69]](#footnote-70) ، ويواصل طه حسين القول : " يذم القديم لا لأنه قديم ، بل لأنه قديم ولأنه عربي ، ويمدح الحديث لا لأنه حديث ، بل لأنه حديث ولأنه فارسي ،فهو إذن مذهب يفضل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبية المشهورة "[[70]](#footnote-71).

وفي الأخير مع التباين في الآراء حول أبي نواس وشخصيته وأشعاره الخمرية ، وتوجهاته الفكرية فإنا إجماعا عند أغلب النقاد حول شاعريته وإبداعه الفني لا سيما في الخمريات ، فإنه شق بموهبته الفذة عصا الطاعة على المجتمع ،واستخدم موهبته أداة لهدم كل بناء فني يتعارض مع حريته وانطلاقاته الروحية وتوقه المتصل إلى الكشف والتعمق في أسرار الحياة والكون والنفس الإنسانية.

1. طه حسين حديث الأربعاء02، ص 82. [↑](#footnote-ref-2)
2. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ص 698. [↑](#footnote-ref-3)
3. سكينة قدور ، محاضرات في أدب العصر العباسي ، المطبوعات البيداغوجية لكلية الأدب والحضارة الإسلامية ، قسنطينة ،2012/2013/ص 20. [↑](#footnote-ref-4)
4. جرجي زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية 2، دار الهلال ج ،2 ، ب ،ث ، ص 49. [↑](#footnote-ref-5)
5. ابو نواس ، الديوان ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ،1423-2003 ، ص06. [↑](#footnote-ref-6)
6. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 704. [↑](#footnote-ref-7)
7. جرجي زيدان ،تاريخ أدب اللغة العربية ، ص 45. [↑](#footnote-ref-8)
8. طه حسين ، حديث الأربعاء ،2، ص 90. [↑](#footnote-ref-9)
9. ديوان أبو نواس ص 28. [↑](#footnote-ref-10)
10. طه حسين ، حديث الأربعاء 2 ، ص 96-97. [↑](#footnote-ref-11)
11. ديوان أو نواس ،ص 100 [↑](#footnote-ref-12)
12. المرجع نفسه ، ص 125. [↑](#footnote-ref-13)
13. سكينة قدور ، محاضرات في أدب العصر العباسي ، ص 28-29. [↑](#footnote-ref-14)
14. المرجع السابق ، ص29. [↑](#footnote-ref-15)
15. حنا الفخوري ،الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص705 [↑](#footnote-ref-16)
16. شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ط16 ، ص 235. [↑](#footnote-ref-17)
17. ديوان أبو نواس ، ص 236 [↑](#footnote-ref-18)
18. المرجع السابق ، ص 225. [↑](#footnote-ref-19)
19. المرجع نفسه ، ص 226. [↑](#footnote-ref-20)
20. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 694. [↑](#footnote-ref-21)
21. المرجع السابق ، ص 694. [↑](#footnote-ref-22)
22. طه حسين ، حديث الأربعاء 2 ، ص 93. [↑](#footnote-ref-23)
23. المرجع نفسه، ص 94. [↑](#footnote-ref-24)
24. شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص 227. [↑](#footnote-ref-25)
25. حنا الفاروقي ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 698-699. [↑](#footnote-ref-26)
26. مقدمة ديوان أبي نواس . [↑](#footnote-ref-27)
27. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 704. [↑](#footnote-ref-28)
28. ديوان أبو نواس ، ص 06. [↑](#footnote-ref-29)
29. المرجع السابق ، ص 06 [↑](#footnote-ref-30)
30. حسين مروة ، دراسات نقدية في ضوء المجتمع الواقعي ، مكتبة المعارف – بيروت – ب ط 1988، ص248. [↑](#footnote-ref-31)
31. سورة الزمر ، الآية 53. [↑](#footnote-ref-32)
32. حسين مروة ، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، ص 251. [↑](#footnote-ref-33)
33. عباس محمود العقاد ، أبو نواس الحسن بن هانئ ، ص 95. [↑](#footnote-ref-34)
34. حسين مروة ، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، ص 261. [↑](#footnote-ref-35)
35. المرجع نفسه ، ص255. [↑](#footnote-ref-36)
36. المرجع السابق ، ص 257. [↑](#footnote-ref-37)
37. ديوان أبو نواس ، ص 06-07 [↑](#footnote-ref-38)
38. طه حسين ، حديث الأربعاء 2 ، ص 90. [↑](#footnote-ref-39)
39. عباس محمود العقاد ، أبو نواس الحسن بن هانئ ، ص 102. [↑](#footnote-ref-40)
40. ديوان أبو نواس، ص 07. [↑](#footnote-ref-41)
41. المرجع السابق ، ص 07. [↑](#footnote-ref-42)
42. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص 798. [↑](#footnote-ref-43)
43. المرجع نفسه ، ص 803. [↑](#footnote-ref-44)
44. ابن معتز ، طبقات الشعراء المحدثين ، دار الأرقم بن الأرقم ، بيروت ، ط1 ،1998م ، ص 234. [↑](#footnote-ref-45)
45. محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، ص 156. [↑](#footnote-ref-46)
46. المرجع نفسه ، ص 156. [↑](#footnote-ref-47)
47. المرجع نفسه ، ص 157 [↑](#footnote-ref-48)
48. المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص 316. [↑](#footnote-ref-49)
49. محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص 154 [↑](#footnote-ref-50)
50. المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ص 306. [↑](#footnote-ref-51)
51. المرجع السابق ، ص 307. [↑](#footnote-ref-52)
52. عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، ص 320. [↑](#footnote-ref-53)
53. المرجع نفسه ، ص 321. [↑](#footnote-ref-54)
54. عبد الله محمد العضيبي ، النقد عند الشعراء ، مكتبة نرجس ، ط1 ، 2013،ص 348. [↑](#footnote-ref-55)
55. عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي ، ص 321. [↑](#footnote-ref-56)
56. الجرجاني ( أبو الحسن علي بن عبد العزيز ) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي ، القاهرة 1966 ، ص 734. [↑](#footnote-ref-57)
57. المصدر نفسه ، ص 735. [↑](#footnote-ref-58)
58. نجوى صابر ، النقد الأخلاقي ، ص40. [↑](#footnote-ref-59)
59. المرزباني ، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، ص 325. [↑](#footnote-ref-60)
60. مقدمة ديوان أبي نواس :ح [↑](#footnote-ref-61)
61. المرجع السابق ، ط . [↑](#footnote-ref-62)
62. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 693 [↑](#footnote-ref-63)
63. المرجع السابق ، ص 693-694. [↑](#footnote-ref-64)
64. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، ص 223. [↑](#footnote-ref-65)
65. عباس محمود العقاد ، ا[و نواس الحسن بن هانئ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2013، ص 122-123. [↑](#footnote-ref-66)
66. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 699. [↑](#footnote-ref-67)
67. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي ، ص 227. [↑](#footnote-ref-68)
68. طه حسين ، حديث الأربعاء 2، ص 95. [↑](#footnote-ref-69)
69. المرجع السابق ، ص 90. [↑](#footnote-ref-70)
70. المرجع نفسه ، ص 90 [↑](#footnote-ref-71)